

الذكرى 69 بعد 100 لقصف مدينة الاغواط "بالكلوروفورم"

04 ديسمبر 1852 - 04 ديسمبر 2021

استعمال الأسلحة الكيميائية عبر التاريخ: الجزائر جزء من هذا التاريخ!

قصف مدينة الاغواط بقتابل "بالكلوروفورم": جريمة ضد الإنسانية تأبى النسيان؟

د. عمار منصوري  
باحث في الهندسة النووية

يعود استعمال السموم والمواد الحارقة إلى العصور القديمة حيث استعملت هذه المواد في عدة حروب معروفة ومازال استعمالها مستمر، بعد تطويرها، إلى يومنا هذا أي الألفية الثالثة. حيث لجأت القوات الأميركية لاستعمال الفسفور الأبيض في العراق لاستعادة الفلوجة في 2004 وكانت محطة تلفزيونية إيطالية رسمية قد عرضت فيلم وثائقي بعنوان "الفلوجة المذبحة الخفية" في 08 نوفمبر 2005 حول هذا الموضوع، جاء هذا الفيلم مدعوما بصور للضحايا، جثث مشوهة، وشهادات للجنود الأميركيين تثبت استخدام القوات الأمريكية هذا السلاح الحارق واللاإنساني، الشيء الذي أثار جدلا واسعا. وكانت الولايات المتحدة من المشاركين في اتفاقية عام 1980 التي تحرم استخدام الفسفور الأبيض كسلاح حارق ضد السكان المدنيين أو حتى ضد الأعداء في المناطق التي يقطن بها مدنيين. وقد استخدمته أمريكا في الحرب العالمية الأولى وكذلك القوات الروسية في الشيشان واستخدمته كل الأطراف في يوغوسلافيا سابقا. كما استخدم غاز الخردل من قبل الطيران الإيطالية في ليبيا، وخلال فترة احتلالها لإثيوبيا في 1934-1935، ومن قبل البريطانيين في عام 1919 في أفغانستان وفي 1925 في كردستان. كما استخدمت أسبانيا وفرنسا أسلحة كيميائية مثل الفوسجين وغاز الخردل ضد السكان المدنيين في شمال المغرب خلال حرب الريف (1921-1927)، واستعملت اليابان الأسلحة الكيميائية ضد الصين في حرب 1934-1944.

كان أول استعمال للأسلحة الكيميائية بمفهومها الحديث وعلى نطاق واسع في الحرب العالمية الأولى وذلك في المعركة الثانية بآبر (Ypres) في 22 افريل 1915 من طرف

القوات الجوية الألمانية (Luftwaffe) ضد الحلفاء الذين كان معهم الجيش الفرنسية الذي كان يحارب بجانبها مالا يقل عن 80000 جزائري للدفاع عن فرنسا وكان هؤلاء في الصفوف الأمامية عندما قصفتهم القوات الألمانية بغاز الكلور فمات وجرح منهم الكثير، فكان عدد الضحايا يناهز الـ5000 اغلهم من الجزائر والمستعمرات الفرنسية الأخرى ناهيك عن ضحايا الاستعمالات التي تلتها إلى غاية نهاية الحرب. فبهذا أصبح مئات الجزائريون من ضحايا الاستعمال الأولى للأسلحة الكيميائية في التاريخ. حيث تم في هذه الحرب استعمال ما يقارب 112.000 طن من المواد الكيميائية من كلا الطرفين مما أدى إلى قتل ما لا يقل عن 500.000 شخص في الجبهة الغربية. أما خلال الحرب العالمية الثانية استعملت الأسلحة الكيميائية في جبهة الشرق الأقصى وكذلك استعملت الغازات السامة من طرف القوات الألمانية في مراكز الإبادة.



22 افريل 1915: استعمال الغازات السامة لأول مرة من طرف القوات الألمانية في الحرب العالمية الأولى



جندي الماني بلباس واقى للأسلحة الكيميائية



أنابيب، فرنسية قاذفة للغازات السامة



10 افريل 1918: جنود بريطانيون أصيبوا بالعمى من جراء استعمال الغازات السامة أثناء معركة



الحرب على غزة جانفي 2009  
ما أشبه اليوم بالبارحة؟



الحرب العالمية الأولى 1914-1918  
استعمال الفسفور الابيض!

فما دام الاستعمار ملة واحدة، ففرنسا بدورها استعملت الغازات السامة والمواد الحارقة (أي أسلحة الدمار الشامل: المصطلح الذي أطلقته عليها بريطانيا لأول مرة) مئات المرات في مختلف مراحل حملتها على الجزائر حيث كان عدد سكانها 5 ملايين مقابل 36 مليون في فرنسا. كما تميزت كل مرحلة منها بجرائم خاصة. فكان العنف الاستعماري عملية مستمرة منذ بداية الغزو في 1830 إلى غاية الاستقلال في 1962. للتذكير تميزت الحملة الفرنسية على الجزائر بثلاثة مراحل وهي:

1. مرحلة الغزو

2. مرحلة فرض النظام الاستعماري

3. مرحلة التحرر من الاستعمار

فحسب المؤرخين والشهادات والأرشيف والوثائق المختلفة لقد قصفت القوات الفرنسية الغازية بقيادة De Bourmont مدينة الجزائر عشية الاحتلال في جويلية 1830 بطن من مسحوق كيميائي لاستسلامها.



## دي بورمان قائد الحملة على الجزائر في المحاولة السابعة للغزوها



14 جوان 1830، هبوط القوات الفرنسية بالقرب من مدينة الجزائر: خرج الأسطول من طولون في 25 ماي 1830 والذي يتكون من 453 سفينة، 27000 بحار و37000 جنودي.



جويلية 1830: قصف مدينة الجزائر بطن من مسحوق كيميائي للاستسلام

واستمر العنف الاستعماري حيث في 12 أوت 1844 قام العقيد Cavaignac بمحاصرة سكان قبيلة بني صبيح وقتلهم خنقا بالدخان وحرقا بالنار داخل الكهف الذي لجئوا إليه. بعدها الجنرال Thomas Bugeaud، الذي قد أمضى في 30 ماي 1837 معاهدة تافنة مع الأمير عبد القادر، نصح القادة العسكريين بالتقليل من مقاومة السكان فإذا تراجع هؤلاء إلى داخل كهوفهم، فافعلوا بهم مثل ما صنع كافنياك ببني صبيح! أحنقوهم بالدخان دون توقف كالثعالب". ففي يوم 19 جوان 1845، وعملا بهذه النصيحة لم يتردد العقيد Pélissier في قتل أكثر من 1000 شخص من قبيلة أولاد رياح خنقا بالدخان بعد ما لجئوا إلى غار.

حسب قول بيليسي لقد قام بعملية تحميص العرب وشوائهم على النار بدم بارد. ، للعلم من بين السموم التي يحتوي عليها الدخان واحد أكسيد الكربون (CO).



جان جاك بليسي: مارشال فرنسا الذي استعمل الدخان والكلوروفورم لإبادة الشعب الجزائري

واستمر العنف الاستعماري وتنوع حيث في يوم السبت 04 ديسمبر 1852، استخدمت القوات الفرنسية الغازية والتي قوامها 6000 جندي بقيادة الجنرال يوسف، بان، بوسكرين وبليسي خلال اجتياح مدينة الأغواط، قذائف معبئة بمادة الكلوروفورم ضد السكان المدنيين الذين كان عددهم 4000 نسمة، قتل منهم 2800 مقابل 60 قتيل من جانب الفرنسيين من بينهم الجنرال بوسكرين. وفي هذا الاجتياح اقترح بيليسي تدمير المدينة وتشتيت سكانها. فبهذا شكل سكان مدينة لغواط " حيوانات تجارب" للاستعمال الأول للأسلحة الكيميائية في العالم.



قصف جبل صفاح بمدينة الاغواط في 4 ديسمبر 1852 باستعمال قنابل الكلوروفورم: بقيادة بيليسي (على الصورة) الذي اقترح آنذاك تدمير المدينة وتشتيت سكانها.

وعليه يُمثل هذا القصف الإجرامي أول استخدام للأسلحة الكيميائية ضد المدنيين في العالم للإبادة أو الاستسلام.

وشهد شاهد من أهلها العقيد فرانسو دو براي في مذكراته: "تعرضت الاغواط إلى كل فضائع الحرب وعرفت كل التجاوزات التي يمكن يقترفها العساكر المحمومين لمواجهة شرسة الأهالي وغضب عارم لخسائر تكبدوها. كانت هناك مشاهد مروعة فضيعة القتل وهتك الأعراض. الشوارع والمنازل امتلأت بجثث الرجال والنساء وحتى الأطفال الذين لم تستثنهم الرصاصات الطائشة العمياء". ويضيف "وضعوا 42 رجل في أكياس (الشكاير) مشبعة بأبخرة الكلوروفورم ثم احرقوهم". لم تكتفي أيادي الإجرام من قتل وحرق الأبرياء بل ألقت بالجثث التي امتلأت بها المدينة داخل أبار لتخفي عار الجريمة.



حادثة "الشكاير"؟: 42 مقاوم جزائري اعدموا بطريقة بشعة؟؟

قد تبقى تداعيات هذه الجريمة مجهولة إلى يومنا هذا بسبب الذريعة المشهورة "سرية-الدفاع" والتي تختفي خلفها فرنسا دائما لتجنب الاتهامات والفضائح التي مما لا شك فيه ستتمس بشرفها وقيمها إن كان لها قيم.

للعلم، تم اكتشافه "الكلوروفورم" في 1831 بفرنسا وألمانيا وأمريكا في آن واحد، فهو سائل كيميائي سريع التطاير، قد استعمل في 1847 كمخدر في العمليات الجراحية وسرعان ما تم التخلي عنه نظرا لسميته العالية.

وفي الأخير، نذكر بان أول استعمال للأسلحة الكيميائية في العالم ضد المدنيين كان في مدينة الاغواط في 4 ديسمبر 1852 و أول استعمال للأسلحة الكيميائية ضد عسكريين على نطاق واسع كان في الحرب العالمية الأولى ببلجيكا في 22 افريل 1915. وعليه، هناك ضرورة ملحة لإجراء دراسات أكاديمية لمعرفة نوع وحجم الأسلحة الكيميائية التي استعملتها فرنسا طيلة العهد الاستعماري في الجزائر وأثارها على الصحة والبيئة.